هل كان والد إبراهيم الخليل كافرا؟
وهل آزر هو والد إبراهيم؟
وهل أسلم أبو طالب؟

محمد بن حسني بن قطب

شبكة الألوكة
www.alukah.net

هل كانَ والدُ إبراهيمَ الخليل كافرًا؟

وهل آزرُ هو والدُ إبراهيمَ؟

وهل أسلمَ أبو طالبٍ؟

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وصلىٰ الله وسلم وبارك علىٰ نبيه الأمين.. **أمَّا بعد:**

فإنه لم يختلف العلماء سلفًا أن والد نبى الله إبراهيم كان كافرًا ومات علىٰ ذلك بعدما قامت عليه الحجة.

وكذلك لم يختلفوا أن أبا طالب مات كافرًا.

وخالف الشيعة والغلاة في هاتين المسألتين، وإنما اختلفوا في كون آزرَ اسمَه أم لقبَه أم نعتَه.

قال الإمام الرازي المُفسِّر:

وقالت الشيعة: لا يكون أحدٌ من آباءِ رسولِ اللهِ ﷺ وأجدادِه كافرًا. وأنكروا أنّ (آزر) أبٌ لإبراهيم وإنَّما كان عمَّه. وأمَّا أصحابُنا (يقصد أهل السُّنَّة) فلم يلتزموا ذلك.

ثم ذكر الإمام الرازي رحمه الله حججَ الشيعةِ وفنَّدَها.

وقال الشيخ الطاهرُ بنُ عاشور: هو كما قالَ الفخرُ من عدم التزام هذا. اهـ

ومن الأدلةِ علىٰ هذا أنَّ اللهَ جل جلاله ذكرَ دعوةَ إبراهيمَ لأبيه وقومِه صراحةً ونداءَه بالأبوةِ الصريحةِ في اثني عشر موضعًا في كتابه الكريم،

وجاءت السنةُ بذلك صريحةً أيضًا.

قال الله ﷻ: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً إِنِّيٓ أَرَىٰكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ﴾ [الأَنْعَام: ٧٤].

وقال: ﴿وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٖ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ...﴾ [التَّوْبَة: ١١٤].

وقال: ﴿وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ إِبْرَٰهِيمَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ۝٤١ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ... يَٰٓأَبَتِ... يَٰٓأَبَتِ... يَٰٓأَبَتِ...﴾ [مَرْيَم: ٤١ - ٤٥].

وقال: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ ۝٥١ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِيٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ﴾ [الأَنبِيَاء: ٥١ - ٥٢].

وقال: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَٰهِيمَ ۝٦٩ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا تَعْبُدُونَ﴾ [الشُّعَرَاء: ٦٩ - ٧٠].

وقال: ﴿وَٱغْفِرْ لِأَبِيٓ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ﴾ [الشُّعَرَاء: ٨٦].

وقال: ﴿وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ لَإِبْرَٰهِيمَ ۝٨٣ إِذْ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلْبٖ سَلِيمٍ ۝٨٤ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَاذَا تَعْبُدُونَ﴾ [الصَّافَّات: ٨٣ - ٨٥].

وقال: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِي بَرَآءٞ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ۝٢٦ إِلَّا ٱلَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ﴾ [الزُّخْرُف: ٢٦ - ٢٧].

وقال: ﴿إِلَّا قَوْلَ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَآ أَمْلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ﴾ [المُمْتَحنَة: ٤].

ففى آية الأنعام الكريمة: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً إِنِّىٓ أَرَىٰكَ وَقَوْمَكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾:

قال الإمام الشافعى رحمه الله -تعالىٰ-: «قال الله تبارك وتعالىٰ: ﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبْنَهُۥ وَكَانَ فِى مَعْزِلٍ يَٰبُنَىَّ﴾ [هُود: ٤٢]، وقال ﷻ: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ﴾ فنسب إبراهيم إلىٰ أبيه وأبوه كافر، ونسب ابن نوح إلىٰ أبيه نوح وابنه كافر»[(١)].

والظاهر أن يكون «آزر» مثل ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَٰرُونَ﴾ [الأَعْرَاف: ١٤٢] فيكون إعرابُها في الآية بدلًا مِنْ أَبيهِ، أو عطف بيان، وعلامة جره الفتحة؛ لأنه ممنوع من الصرف للعلمية والعجمة، وقيل: بل هُوَ عَرَبِيٌّ، مشتقٌ من الأَزرِ أو الوزرِ، وَلَمْ يُصْرَفْ لِلتَّعْرِيفِ وَوَزْنِ الْفِعْل.

وقرأ يعقوب الحضرمى ووافقه الحسن «آزرُ» مضمومـًا، فيكون منادىٰ مبنيًّا علىٰ الضم، لأنه علمٌ.

وهو اسمٌ له، أو صفةٌ، أو لقبٌ، أو هو اسم صنم لُقِّب به، فيصير النداء به توبيخًا، وهي أقوال متقاربة من جهة أنها لا تمنع أنه أبوه حقيقةً.

---

(١) في كتابه: الأم، باب المواريث، (٤-٨١).

روىٰ ابن أبى حاتم بسندين ضعيفين عن ابن عباس أنه اسم للصنم[1].

وروىٰ الطبري وابن أبى حاتم عن مجاهد بسندين ضعيف أيضًا- أنه اسم للصنم أيضًا[2].

وأخرج ابن أبى حاتم عن سليمان التيمى أنه توبيخ وتعييب بمعنىٰ المعوج.

---

(١) وابن عباس رضي الله عنه معروف بالأخذ عن أهل الكتاب، فلعل هذا منه، ثم أخذ عنه التابعون كمجاهد وغيره. هذا إن صح ذلك عنه، وإلا فإن الأثرين ضعيفين مضطربين، فالأول وهو أحسنهما، قال ابن أبي حاتم: حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ عَمْرِو بْنِ أَبِي عَاصِمٍ النَّبِيل، ثنا أَبِي، ثنا أَبُو عَاصِمٍ، أنا شَبِيبٌ، ثنا عِكْرِمَةُ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، فِي قَوْلِهِ: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ﴾، يَعْنِي بِـ«آزَرَ» الصَّنَمَ، وَأَبُو إِبْرَاهِيمَ اسْمُهُ: يَازَرَ.
والثاني: حَدَّثَنَا أَبُو زُرْعَةَ، ثنا مِنْجَابٌ، أنا بِشْرُ بْنُ عُمَارَةَ، عَنْ أَبِي رَوْقٍ، عَنِ الضَّحَّاكِ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَوْلَهُ: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ﴾، قال: «إِنَّ أَبَا إِبْرَاهِيمَ لَمْ يَكُنِ اسْمُهُ آزَرَ، وَإِنَّمَا كَانَ اسْمُهُ تَارَحَ».
أما ضعف السند فإن في الأول شبيبا، قال الحافظ: صدوق يخطئ، والثاني منقطع بين الضحاك وابن عباس. وضعف رواية بشر بن عمارة. أما اضطراب المتن فإنه سماه في الأول يازر، وسماه في الثاني تارح.

(٢) روىٰ ابن جرير من حديث الثوري قال: أخبرني رجل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ﴾، قال: «آزر» لم يكن بأبيه، إنما هو صنم. وفيه مجهول. وروىٰ ابن أبي حاتم (٥/ ٢٨٧) عَنْ لَيْثٍ، عَنْ مُجَاهِدٍ، قَالَ: «لَيْسَ آزَرُ أَبَا إِبْرَاهِيمَ»، وليث هو ابن أبي سليم، قال الحافظ: صدوق اختلط جدا ولم يتميز حديثه فترك. اهـ ومعناه أن آزر ليس اسما لأبيه، وليس معناه أن والد إبراهيم رجل آخر مسلم، لأنه ثبت عَنْ مُجَاهِدٍ في قوله: «فلمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ» قَالَ: «لَمَّا مَاتَ وَهُوَ كَافِرٌ» رواه ابن جرير بسند صحيح عند تفسيرها من التوبة، ١٤/ وينظر تفسير ابن أبي حاتم (٧/ ٤٣٨)

واستبعد ابن جرير الطبريُّ ذلك كلَّه، وقال: هو اسم أبيه، وهو القول المحفوظ من قول أهل العلم. اهـ

وروىٰ ابن أبى حاتم وابن جرير بإسنادٍ صحيح عن مُحمدِ بن إسحاقَ صاحب المغازي أنه اسم أبيه[1].

ثم قال شيخ المفسرين الطبري: «وغيرُ محالٍ أن يكونَ له اسمان، كما لكثير من الناس في دهرنا هذا، وكان ذلكَ فيما مضىٰ لكثير منهم. وجائزٌ أن يكون لقبًا يُلقّب به»[2]. اهـ

وقال الحافظ ابن كثير: «وَهَذَا الَّذِي قَالَهُ جَيِّدٌ قَوِيٌّ، وَاللهُ أَعْلَمُ»[3].

وقال الرازي في تفسيره: «وَاعْلَمْ أَنَّ هَذِهِ التَّكَلُّفَاتِ إِنَّمَا يَجِبُ الْمَصِيرُ إِلَيْهَا لَوْ دَلَّ دَلِيلٌ بَاهِرٌ عَلَىٰ أَنَّ وَالِدَ إِبْرَاهِيمَ مَا كَانَ اسْمُهُ آزَرَ وَهَذَا الدَّلِيلُ لَمْ يُوجَدِ الْبَتَّةَ، فَأَيُّ حَاجَةٍ تَحْمِلُنَا عَلَىٰ هَذِهِ التَّأْوِيلَاتِ، وَالدَّلِيلُ الْقَوِيُّ عَلَىٰ صِحَّةِ أَنَّ الْأَمْرَ عَلَىٰ مَا يَدُلُّ عَلَيْهِ ظَاهِرُ هَذِهِ الْآيَةِ، أَنَّ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ وَالْمُشْرِكِينَ كَانُوا فِي غَايَةِ الْحِرْصِ عَلَىٰ تَكْذِيبِ الرَّسُولِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَإِظْهَارِ بُغْضِهِ، فَلَوْ كَانَ هَذَا النَّسَبُ كَذِبًا

(١) تفسير ابن أبي حاتم (٥/ ٢٨٧)، ورواه ابن جرير عن السدي كذلك.
(٢) جامع البيان، ت: شاكر (١١/ ٤٦٨).
(٣) تفسير ابن كثير، ط. العلمية (٣/ ٢٥٨).

لَامْتَنَعَ فِي الْعَادَةِ سُكُوتُهُمْ عَنْ تَكْذِيبِهِ وَحَيْثُ لَمْ يُكَذِّبُوهُ عَلِمْنَا أَنَّ هَذَا النَّسَبَ صَحِيحٌ، والله أَعْلَمُ»[1]. اهـ

وقول الله تعالىٰ: ﴿وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُۚ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ﴾ [التَّوْبَة: ١١٤].

قال ابن عباس: الموعدة موته، أي فَكَانَ إِبْرَاهِيمُ عليه السلام يَسْتَغْفِرُ لِأَبِيهِ مُدَّةَ حَيَاتِهِ، فَلَمَّا مَاتَ عَلَىٰ الشِّرْكِ وَتَبَيَّنَ إِبْرَاهِيمُ ذَلِكَ، رَجَعَ عَن الِاسْتِغْفَارِ لَهُ، وَتَبَرَّأَ مِنْهُ. روىٰ ذلك بمعناه ابن جرير عنه بسند صحيح.

وقال سعِيدُ بْنُ جُبَيْر: إِنَّهُ يَتَبَرَّأُ مِنْهُ فِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ. اهـ

ويؤيد قول سعيد ظاهر الدعاء الوارد في سورة إبراهيم: ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ﴾ [إِبْرَاهِيم: ٤١].

ويؤيده- أيضًا- ظاهرُ صنيع البخاري إذ روىٰ البخاري عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنْ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «يَلْقَىٰ إِبْرَاهِيمُ أَبَاهُ آزَرَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَعَلَىٰ وَجْهِ آزَرَ قَتَرَةٌ وَغَبَرَةٌ، فَيَقُولُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ: أَلَمْ أَقُلْ لَكَ: لا تَعْصِنِي، فَيَقُولُ أَبُوهُ: فَالْيَوْمَ لا أَعْصِيكَ، فَيَقُولُ إِبْرَاهِيمُ: يَا رَبِّ، إِنَّكَ وَعَدْتَنِي أَنْ لا تُخْزِيَنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ، فَأَيُّ خِزْيٍ أَخْزَىٰ مِنْ أَبِي الْأَبْعَدِ! فَيَقُولُ اللهُ تَعَالَىٰ: إِنِّي حَرَّمْتُ الْجَنَّةَ عَلَىٰ الْكَافِرِينَ، ثُمَّ يُقَالُ: يَا إِبْرَاهِيمُ، مَا تَحْتَ

(١) التفسير الكبير (١٣/ ٣٢).

رِجْلَيْكَ؟ فَيَنْظُرُ فَإِذَا هُوَ بِذِيخٍ مُلْتَطِخٍ، فَيُؤْخَذُ بِقَوَائِمِهِ فَيُلْقَىٰ فِي النَّارِ»[1].

رواه البخاري في كِتَاب أَحَادِيثِ الْأَنْبِيَاءِ، ثم رواه في كتاب التفسير، سورة الشعراء قال: بَاب ﴿وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ﴾[2].

ووجه الدلالة ظاهر قوي؛ ففي سورة الشعراء [الآية ٨٦]: ﴿وَٱغْفِرْ لِأَبِيٓ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ﴾، وفي حديث المعصوم ﷺ السابق: «يَلْقَىٰ إِبْرَاهِيمُ أَبَاهُ آزَرَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَعَلَىٰ وَجْهِ آزَرَ قَتَرَةٌ وَغَبَرَةٌ»، أي أن الاحتمال الذي يفترضه المعترض من ذكر اسم آزر بعد الأبوة كما في سورة الأنعام غير موجود في سورة الشعراء، فانتفىٰ الاحتمال، وزالت الشبهة.

وهذه الآية- آية التوبة الكريمة- نزلت في أبي طالب لما مات علىٰ الكفر[3]، كما روىٰ الشيخان، وقد كان ﷺ قد حلف ليستغفرن لأبي طالب كما في الصحيح: «أَمَا وَاللهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ مَا لَمْ أُنْهَ عَنْكَ» بل وروي أنه أراد بعض المسلمين أن يستغفر لبعض أقاربه؛ فأنزل الله تعالىٰ: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓاْ أُوْلِي قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ﴾ [التَّوْبَة: ١١٣]، وأنزل الله ﷻ في

---

(١) (٨/ ٤١٧) رقم: ٣٣٥٠.

(٢) ترقيم: ٤٧٦٨.

(٣) نزلت مرتين الأولىٰ في مكة عند موت أبي طالب، ومرة أخرىٰ بالمدينة، كما رجح الحافظ في الفتح؛ لأن سورة التوبة الكريمة من آخر ما نزل.

أبى طالب أيضًا: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ﴾ [القَصَص: ٥٦].

ولا خلاف بين العلماء أن أبا طالب مات علىٰ الكفر، ولكن خالف في ذلك الشيعة وادَّعوا إيمانه، وكذلك ادَّعوا هنا في شأن أبى إبراهيم، ادَّعوا كما حكىٰ عنهم الرازي أن أبا إبراهيم مسلمٌ، والكافرُ المذكور في القرآن عمه، مع وضوح الآيات والأحاديث الشريفة.

ففي أحد عشر موضعًا جاء ذكر حديث إبراهيم لأبيه من غير قيد، وفي موضع واحد وصف بـ«آزر»، وفي السُّنَّة صراحةً ما لا يحتمل أن المقصود من غير وصف في موضع الشعراء هو المسمىٰ «آزر»، فلم يعد من احتمال، ثم لو بقي الاحتمال فإنه يجب رد المحتمل إلىٰ المحكم.

ولا يجوز تأويل لفظ الأب إذا جاء مفردا إلا بدليل باهر صريح، وإلا ضاعت الحقوق واختلطت المواريث، وخفيت الأنساب.

شُبه الشيعة والغلاة:

- **الشبهة الأولىٰ**: أن اسم أبيه تارح؛ لأنه مذكور في كتب أهل الكتاب كذلك.

والجواب: أننا ليس عندنا دليل معصوم علىٰ ذلك، ولا يلزم تصحيح كل شيء من كتب أهل الكتاب، هذا إذا لم يتعارض مع القرآن؛ أما إذا تعارض مع القرآن أو السُّنَّة فإنه يرد قطعًا؛ لأنه من المعلوم

تحريفها وانقطاع أسانيدها، ولسنا ملزمين بقبولها، وعلىٰ فرض صحتها وعدم تعارضها فإنها مترجمةٌ من لغةٍ إلىٰ لغةٍ إلىٰ لغةٍ، فيكون التغيرُ محتملًا، أو أن يكون الاسمُ تارحا، واللقب آزر، كمن له اسمان كيعقوب وإسرائيل.

- **الشبهة الثانية**: أن النبى ﷺ أخبر أنه لا يزال يتنقل من أصلاب الطاهرين إلىٰ أرحام الطاهرات، وهو من نسل إبراهيم، فيكون جميع من في النسب مسلمين.

والجواب: أن المقصود صحة نكاح الآباء، ليس في أنكحة أبويه سفاح.

قال ابن عاشور: إنّ الكفر لا ينافي خلوص النسب النبوي خلوصًا جبليًّا لأنّ الخلوص المبحوث عنه هو الخلوص ممَّا يتعيّر به في العادة. اهـ

أما هذا الحديث: «خرجت من نكاح لا من سفاح»:

قال عبد الرزاق: أخبرنا ابن عيينة، عن جعفر بن محمد، عن أبيه أبى جعفر الباقر في قوله تعالىٰ ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ [التَّوْبَة: ١٢٨] قال: لم يصبه شيء من ولادة الجاهلية، وقال رسول الله ﷺ: «إني

خرجت من نكاح ولم أخرج من سفاح»[1].

وهذا مرسل جيد. ورفعه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» عن الباقر عن أبيه عن جده علي[2].

وروىٰ البيهقي في الدلائل عن أنس وغيره مرفوعًا:

«... فَلَمْ يُصِبْنِي شَيْءٌ مِنْ عُهْرِ الْجَاهِلِيَّةِ. وَخَرَجْتُ مِنْ نِكَاحٍ، وَلَمْ أَخْرُجْ مِنْ سِفَاحٍ، مِنْ لَدُنْ آدَمَ، حَتَّىٰ انْتَهَيْتُ إِلَىٰ أَبِي وَأُمِّي، فَأَنَا خَيْرُكُمْ نَفْسًا، وَخَيْرُكُمْ أَبًا» تَفَرَّدَ بِهِ أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدُ اللهِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ رَبِيعَةَ الْقُدَامِيُّ، هَذَا وَلَهُ عَنْ مَالِكٍ وَغَيْرِهِ أَفْرَادٌ لَمْ يُتَابَعْ عَلَيْهَا. وَاللهُ أَعْلَمُ[3].

وعند ابن سعد، وابن عساكر عن أنس، قال: قرأ رسول الله ﷺ «لقد جاءكم رسول من أنفسكم» بفتح الفاء، وقال: «أنا أنفَسُكم نسبًا وصهرًا وحسبًا، ليس في آبائي من لدن آدم سفاحٌ، كلنا نكاحٌ».

---

(١) ورواه البيهقي بلفظ «إن الله أخرجني من النكاح ولم يخرجني من السفاح». وقال بعده: وَأَبَوَاهُ كَانَا مُشْرِكَيْنِ.
وَأَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ الْحَافِظُ، أنبأ أَبُو الْعَبَّاسِ السَّيَّارِيُّ، ثنا أَبُو الْمُوَجِّهِ، ثنا يَحْيَىٰ ابْنُ أَيُّوبَ، ثنا مَرْوَانُ بْنُ مُعَاوِيَةَ، ح قَالَ: وَأَخْبَرَنِي أَبُو الْوَلِيدِ الْفَقِيهُ، ثنا أَحْمَدُ بْنُ الْحَسَنِ ابْنِ عَبْدِ الْجَبَّارِ، ثنا مُحَمَّدُ بْنُ عَبَّادٍ، ثنا مَرْوَانُ بْنُ مُعَاوِيَةَ، عَنْ يَزِيدَ بْنِ كَيْسَانَ، عَنْ أَبِي حَازِمٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اسْتَأْذَنْتُ رَبِّي فِي أَنْ أَسْتَغْفِرَ لِأُمِّي فَلَمْ يَأْذَنْ لِي وَاسْتَأْذَنْتُهُ فِي أَنْ أَزُورَ قَبْرَهَا فَأَذِنَ لِي»، رَوَاهُ مُسْلِمٌ فِي الصَّحِيحِ، عَنْ يَحْيَىٰ بْنِ أَيُّوبَ، وَمُحَمَّدِ بْنِ عَبَّادٍ. ينظر السنن الكبرىٰ (٧/ ٣٠٨).

(٢) تاريخ دمشق لابن عساكر (٣/ ٤٠٢).

(٣) دلائل النبوة للبيهقي، مُخرَّجًا (١/ ١٧٤).

وعند أبى نعيم عَن ابْن عَبَّاس رَفعه: «لم يلتق أبواي عَلَىٰ سفاح، لم يزل الله ﷻ ينقلنى من الأصلاب الطّيبَة إِلَىٰ الْأَرْحَام الطاهرة مصفىٰ مهذبًا، وَلَا يتشعب شعبتان إِلَّا كنت فِي خيرهما» وهو ضعيف لجهالة رواته.

وروىٰ أيضًا من حديث وعائشة، وأبىٰ هريرة، لكنها ضعيفة، ولعله بكثرة طرقه يحسن.

- **الشبهة الثالثة:** أن الله تعالىٰ قال: ﴿وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّٰجِدِينَ﴾ [الشُّعَرَاء: ٢١٩] ، فسرها ابن عباس بانتقال نطفته بين الطاهرين والطاهرات.

والجواب، نعم:

أخرج ابْن أبى حَاتِم وَابْن مرْدَوَيْه وَأَبُو نعيم فِي الدَّلَائِل عَن ابْن عَبَّاس فِي قَوْله ﴿وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّٰجِدِينَ﴾ قَالَ: مَا زَالَ النَّبى ﷺ يتقلَّب فِي أصلاب الْأَنْبيَاء حَتَّىٰ وَلدته أمه.

وَأخرج ابْن أبى عمر الْعَدنِي فِي مُسْنده وَالْبَزَّار وَابْن أبى حَاتِم وَالطَّبَرَانِيّ وَابْن مرْدَوَيْه وَالْبَيْهَقِيّ فِي الدَّلَائِل عَن مُجَاهِد فِي قَوْله ﴿وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّٰجِدِينَ﴾ قَالَ: من نَبِي إِلَىٰ نَبِي حَتَّىٰ أُخرجت نَبيا[1].

(١) يُنظر تخريج السيوطي في الدر المنثور في التفسير بالمأثور (٦/ ٣٣٢).

ولكن هذا التفسير خلاف الظاهر من الآيات الكريمة، فالظاهر أن قوله: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ۝٢١٧ ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ۝٢١٨ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ ۝٢١٩ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [الشُّعَرَاء: ٢١٧ - ٢٢٠] أي ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ﴾ فإنه مؤيدك- أيها الرسول- وناصرك ومُعْلِ كلمتك، ﴿ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ﴾ من فراشك إلىٰ الصلاة، يعلم صدقك، ويقبل عملك، فالرؤية هنا عناية محبة وقبول ورضا كما قال له: ﴿وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ [الطُّور: ٤٨] ، وكما يراك حين تنهض لربك فإنه يرىٰ تَقَلُّبَكَ فِى السَّاجِدِينَ أي يراك عابدًا متضرعًا وحدك وفي الجَمْع وعلىٰ كل حالاتك.

فجمهور السلف كما أسند ابن جرير وغيره فسروها ﴿وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ﴾ في الصلاة، وفسرها ابنُ عباس نفسه بذلك في رواية أخرىٰ عنه، قال في الدر المنثور: أخرج ابْن أبى حَاتِم عَن ابْن عَبَّاس فِى قَوْله ﴿ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ﴾ قَالَ: للصَّلَاة.

وليس معنىٰ رواية ابن عباس الأولىٰ (من نَبى إِلَىٰ نَبى حَتَّىٰ أُخرجت نَبيا) ليس معناها عصمة آبائه لو صحت، وإنما هى ضعيفة، ففى إسناد أبى نعيم سعدان بن الوليد وهو مجهول، وفي طريق البزار والطبراني شبيب بن بشر وهو ضعيف أو لين. وإنما معناها أن في آبائه أنبياء.

وعقد الآجري في كتاب «الشريعة» بابًا للغرض نفسه وأخرج فيه بعض هذه الأحاديث والأثار، ليدلل علىٰ صحة نسبه وشرفه، لا علىٰ إسلام آبائه.

وعقد لتخريجه ابنُ الملقن بابا في «تخريج الشرح الكبير»، وقال: له طرق[1].

وغرض الجميع الدلالة في المجموع أن القصد صحة النكاح، ليس فيها سفاح.

- **الشبهة الرابعة**: أن كلمة آزر شتم وتعييب، ومن العقوق أن يقول إبراهيم لأبيه شتم ونحوه!

والجواب من وجوه:

أولًا: أننا لا نسلم أنها شتم وسب إلا بدليل صالح.

ثانيًا: أن إبراهيم لو كان ينادي آزر بالأبوة وهو ليس أبا له كما يدعى الجُهال لم يكن من المناسب أن يشتمه بعد ندائه بالأبوة.

ثالثًا: أن إبراهيم تلطف بأبيه في الدعوة غاية التلطف وكان يناديه يا أبت مرات عديدة كما في سورة مريم، حتىٰ إن أباه لما طرده وهدده بالرجم قال سلام عليك سأستغفر لك ربي.

---

(١) يُنظر: البدر المنير (٧/ ٦٣٤).

ثم إن الشدة لو حصلت من إبراهيم فإن الدعوة تحتاج حينًا إلىٰ الشدة كما تحتاج في الغالب إلىٰ الرفق واللين. والله أعلم.

والخلاصة:

وجوبُ التسليم لله تعالىٰ في حُكمه، والإيمانِ بحكمتِه وعدلِه، وإلجام العقل عن الخوض فيما يضرُّه، ومعرفةُ التوحيدِ وفضلِه، وأنَّ الإيمانَ بالله ﷻ أولُ الأمرِ وآخرُه؛ فَهَذَا أبو إبراهيمَ لَمَّا مَاتَ مُشْرِكًا لَمْ يَنْفَعْهُ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ مَعَ عِظَمِ جَاهِهِ وَقَدْرِهِ، وَقَد أَمَرَ اللهُ- تَعَالَىٰ- الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَتَأَسَّوْا بِإِبْرَاهِيمَ، ثم استثنىٰ ﴿إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ﴾ [المُمْتَحنَة: ٤] فَإِنَّ اللهَ ﷻ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ. وكذا نُهى نبيُنا ﷺ وهو سيدُ الخلق وصاحبُ الشفاعةِ العظمَىٰ عن الاستغفارِ لعمِّه أبى طالب لما أبَىٰ أن ينطقَ بكلمة التوحيدِ، وأبىٰ أن يُقرَّ لله بالوحدانية، ومات علىٰ الكفر.. والله أعلم.

محمد بن حسني بن قطب

صبح يوم الأحد ٢٩ صفر ١٤٤٤هـ

الموافق ٢٥ سبتمبر ٢٠٢٢م